١/٢١٠٠

... والاشمونين

النعمة و الناموس

مكتبة
... ار مرقس والانبا بطرس
... بسر
٦. ١٢٤٤٢ - الاهوت
١٠٠ ... ١/
١٩٨٤

الأنبا بيمن

الناموس والنعمة

لقد تعود علماء النفس أن يقسموا حياة الإنسان إلى مراحل نفسية ثلاث هى : الطفولة والمراهقة والنضج ... وإذا كانت هناك تقسيمات فرعية إلا أن هذه المراحل الثلاث هى المراحل الأساسية التى يمر فيها كل إنسان . ولكل مرحلة علاماتها ودلالاتها ، وعندما ينمو الإنسان يأخذ فى الخروج من المرحلة التى عاشها ليدخل فى المرحلة التالية حتى يتجاوزها إلى المرحلة الثالثة وهكذا ...

ونحن نجد بنعمة الله تقسيماً موازياً لهذه المراحل السيكولوجية عند التحدث عن القامات الروحية نستخلصها من خلال تاريخ البشرية وخاصة شعب الله فى الكتاب المقدس .. فهناك مرحلة الإنسان قبل الناموس أو ما نسميها مرحلة آدم الأول ، لأن فيها يعيش الإنسان وفقاً للضمير الذى أودعه الله فى آدم الذى سقط ، وعاش على الأرض بإسلوب

ومنهج معين.. ثم هناك مرحلة أخرى إسمها مرحلة شريعة سيناء ، أو ما نطلق عليها مرحلة موسى . . هـذه المرحلة تتسم بالوصايا الطقسية والأدبية وكافة الشرائع التى أعطاها الله لموسى على جبل سيناء . . وظل شعب إسرائيل يتعامل مع الله من خلال هذه الشريعة والوصايا التى يطلق عليها الكتاب كلمة الناموس . . ولكن بمجىء الرب يسوع له المجد إلى عالمنا هذا ظهرت مرحلة أخرى ليست كسابقتها ولكنها إمتداد لها نحو الكمال،وهذه المرحلة هى التى نطلق عليها مرحلة النعمة أو الحياة حسب المسيح . .

وقد يحدث فى حياة الإنسان أن يمر على هذه المراحل الروحية اطراراً مع نموه فى مراحل العمر الزمنى .. فيعيش أولا إبناً لآدم الأول وهو طفل . . بينما يحيا متديناً على مستوى اليهود وهو مراهق ، ثم يتلامس مع النعمة ويختبر حياة الشركة والإختبار الداخلى مع المسيح . . .

وقد يحـــدث فى حالات بعض الناس أن يمروا على مرحلة دون اخرى .

وقد يحدث فى حالات أخرى أن يتثبت الإنسان فى

مرحلة ويبقى عندها لايستطيع أن يتجاوزها . .

وإذا ما أخذنا كل مرحلة بالتأمل والفحص البسيط أمكن لكل واحد منا أن يحدد موقعه من هذا الطريق ويعرف فى أى مرحلة يعيش ، ومن أى نوع من أنواع التدين يحيا ؟ !

مرحلة آدم الأول

هى مرحلة التمركز حول الذات ، تعتبر النفس فيها ذاتها محور الكون كله تماما كما يفعل الطفل الصغير الذى ينظر إلى العالم من خلال ذاته فهو يتصور أنه يملك كل شىء . وإذا ما إمتدت يداه إلى أى شىء اعتبره ملكاً له مهما كان هذا الشىء ومهما كان صاحبه ، وهو يعجب بأبيه ويعتبره أعظم الموجودات لأنه أبوه هو ، وهو يحب أمه لأنها تعطف على ذاته وتشبعها وتملأها حناناً وحنواً ، وهو لايريد أن يوجد غيره من يحتل عرش الأمومة والابوة .. فإذا ما ولد صغير آخر ينافسه فإنه يغير منه غيرة مرة ، وكثيرا ما يحاول إيذاءه ... وهو يتعامل مع الأشياء من خلال اللذة والألم . فالشىء الذى يلذ له يصبح حسناً

عنده حتى لوكان ساماً ، والشيء الذى يؤلمه يكون مكروها لديه حتى لو كان دواء شافياً . . ولهذا فهو يستخدم الفم كوسيلة إستكشافية وإستطلاعية لكافة الأشياء التى يقع عليها بصره أو تلمسها يده . . وشحنة الليبدو (الغريزه الجنسية) لا تتركز عند الأعضاء التناسلية بل تكون موزعة على الجسد كله ، لهذا يحب أن يحضن ويداعب ويقبل ويلمس جسمه كله برقة وحنو شديد . .

أليست هذه المرحلة هى حالة آدم بعد السقوط . . فشهوة الأكل اسقطته . . ولذة التفاحة فى الفم أغرته . والرغبة فى التأله والإستقلال قد ملأته ، وأضحى متمركزا فى ذاته ، وعلاقاته مع الآخر تلوثت ، فهو يتسلط على حواء وهى تسعى وراءه وتشتهيه بل وقد إمتدت روح الغيرة فى أولاده إلى الحد الذى فيه قام قايين على أخيه هابيل فقتله .

وهذه المرحلة قد تثبت عندها الإنسان مهما كبر فى العمر ومهما تقدمت به الأيام . . قد يكون رجلا كبيراً بل وشيخاً طاعناً ونفسيته نفسية الطفل ، وقامته الروحية

لم تتجاوز مرحلة الذاتية أو (النرجسية نسبة إلى نارسيس في الأساطير اليونانية الذى كان يعجب بجمال وجهه وظل ينظر معجباً بوجهه على صفحة المياه حتى مات) وكثيرا ما يكون هذا الكبير عالقاً على مستوى اللذة والألم لم يتجاوزها إلى المراحل التالية التى هى الحلال والحرام ثم الحق والباطل، وكثيرا مايكون الجسد هو صاحب السلطان الأول على غالبية التصرفات والسلوك ، بل وكثيرا ماتكون أحاديث مثل هذا الإنسان كلها منصبة على تمجيد ذاته والإطناب فى شرح أعماله المجيدة وإنتصاراته الرائعة ، الأمور التى يمج منها الناس ويرفضونها ويشمئزون من تكرارها ويضطرون إلى سماعها عن مضض مثل هؤلاء الناس يتعبون كثيراً فى حياتهم الزوجية لأن الزواج شركة بذل وعطاء وحب وإنفتاح ،وكيف يمكن أن يحب من عاش أسيرا فى حبس ذاته ، وكيف يمكن أن يعطى من بات ذليلا لأنانيته وعجبه وكبرياء قلبه .

يشرح الرسول بولس هذه المرحلة فى مواقف كثيرة وآيات عدة نذكر منها :

+ كما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا مالا يليق . مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسداً وقتلا وخصاماً ومكراً وسوءاً نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شروراً غير طائعين للوالدين . . بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة . . (رو ١ : ٢٨ — ٣١) .

+ الجميع زاغوا وفسدوا معاً . ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد . حنجرتهم قبر مفتوح . بألسنتهم قد مكروا . سم الأصلال تحت شفاههم . وفمهم مملوء لعنة ومرارة . أرجلهم سريعـــة إلى سفك الدم . فى طرقهم إغتصاب وسحق وطريق السلام لم يعرفوه .

(رو ٣ : ١٢ — ١٧)

+ الذين هم حسب الجسد فيما للجسد يهتمون . . . إهتمام الجسد هو موت . . الذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله . (رو ٨ : ٥ — ٨)

إن هـذه المرحلة هى التى يسميها الـكتاب مرحلة الحياة حسب الجسد . . . مرحلة سلطان الإنسان العتيق الفاسد حسب غرور وشهوات هـــذا العالم . . مرحلة العبودية للخطية الـكائنة فى الأعضاء ، والتى ورثها كل مولود إمرأة لأنه بالآثام حبل به وبالخطايا اشتهته أمه . .

فى هـذا المستوى يندرج جميع الذين رآهم يوحنا فى قائمة المرفوضين الذين ليس لهم نصيب فى الدهر الآتى . . « وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الـكذبة فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى » رؤ ٢١ : ٨ وإذا كان أبونا آدم وقـد على رجاء المسيا ونزل إليه المسيح من قبل الصليب وأدخله إلى الفردوس فإن الذين ورثوا منه خطيئته ولم يؤمنوا إيمـاناً حياً ولم يعيشوا على رجاء المجىء الثانى فهولاء هم الأموات بالخطية

— • —

مرحلة موسى (الناموس)

يمكننا تصوير هذه المرحلة من خلال نظرة الإنسان إلى الله ، ونظرته إلى الآخرين ، ونظرته إلى نفسه . .

فى هذه المرحلة والتى تمثلها الحياة حسب الناموس نجد أن الإنسان لايستطيع أن يتقابل مع الله إلا من خلال الشريعة فقط . قال الشعب لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولايتكلم الله معنا لئلا نموت . فقال موسى للشعب لاتخافوا لأن الله إنما جاء لكى يمتحنكم ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لاتخطئوا . فوقف الشعب من بعيد وأما موسى فإقترب إلى الضباب حيث كان الله » .

(خر ٢٠ : ١٩ — ٢١)

قال الرب لموسى . . إذهب إنحدر ثم أصعد إلى الجبل أنت وهرون معك . وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب لئلا يبطش بهم .

(خر ١٩ : ٢٣ — ٢٤)

وهكذا عاش شعب إسرائيل فى العهد القديم لايتواجه مع الله إلا من خلال موسى والأنبياء . . وكانت العلاقة التى تربط الشعب بالله منحصرة فى عـــدة وصايا أدبية وطقسية (الناموس) يلزم ممارستها بكل دقة ، والذى يخالف واحدة منها موتاً يموت . . . على أن هذا الناموس

لم يستطع أن يصلح ما فسد . إنما كل الذى فعله أنه كشف الفساد الذى فى الداخل كما تدخل الشمس حجرة مظلمة مليئة بالأتربة فتكشف الغبار وتوضح ما فى الحجرة من أوساخ وهذا ماعبر عنه الرسول فى روميه « وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية » رو ٥ : ٢٠ وفى موضع آخر يقول الرسول « لم أعرف الخطية إلا بالناموس فإننى لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته ، ولكن الخطية وهى متخذة فرصة بالوصية أنشأت فى كل شهوة لأن بدون الناموس الخطية ميتة . أما أنا فكنت بدون الناموس عائشا قبلا . لكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمت أنا . . » رو٧ : ٧ — ٩ ، ومعنى هذا أن كل ماعمله الناموس الذى هو روحى وصالح ومقدس أنه كشف الفساد الذى فى طبيعة الإنسان ، فوصية لا تشته هى التى سلطت أضواء مقدسة على الطبيعة الفاسدة الكائنة فى إعماق الإنسان ، وبينت رغبات القلب وتحركاته وميوله الرديئة ، حتى التى لم تخرج إلى حيز التنفيذ . . وهكذا تنكشف الخطية بالوصية أنها خاطئة جدا . والرسول يشرح حالته أنه كان

سابقاً قبل أن يتقابل مع الرب يسوع عائشا حسب الناموس ولكنه كان له حرفية الناموس ، لم يكن له بر الله الذى نلناه فيما بعد فى المسيح . فلما جاءت الوصية بقوتها ظهرت الخطية فى فسادها ودنسها وعاشت أيامه ظاهرة بينما ماتت عنده كل أعماله وآراءه الطيبة التى إحتفظ بها عن نفسه (البر الذاتى) وأكد له الروح القدس أنه كان بدون المسيح ميتاً ، فعاشت الخطية ومات هو .. وهذا هو النفع الجزيل للناموس أنه كشاف كما أنه مؤدب ومربى لكى يهذب النفس ويعدها لتتقبل الحياة حسب الروح ، الحياة الجديدة التى يحيا فيها بر المسيح وليس بر الإنسان .وكثير من الناس يعيشون وفقاً لروح النهود حتى ولو كانوا قد نالوا سر المعمودية وهم صغار ، إلا أنهم لم يعيشوا حسب الحياة الجديدة والولادة الثانية التى وهبت لهم مجانا فى هذا السر العظيم المقدس .

ويمكننا أن نصور مثل هذا التدين فى النقاط الآتية :

١ — الخوف من الله وممارسة العبادات ، لاعن حب بل عن خوف ورعب .

٢ — إتباع مستوى الحرام والحلال. . فالإنسان هنا دائما يسأل هل هذا حرام أم حلال ؟ . لهذا يسعى وراء كل من يعطيه فتوى تحلل له او تحرم له؟ تماما كما كان يفعل الفريسيون فى المجتمع الذى عاشه الرب يسوع فى فلسطين . هـذه المراهقة النفسية والروحية تظل ثابتة فى حياة الإنسان لأنه لم يتجاوز هذه المرحلة إلى حياة النعمة، حياة حرية مجد أولاد الله .

وهذه المرحلة يسميها الرسول بولس فى غلاطية مرحلة الحياة عند أولاد الجارية العبدة وليس أولاد الأم الحرة وقولوا لى أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس ألستم تسمعون الناموس فإنه مكتوب أنه كان لإبرهيم أبنان واحد من الجارية والآخر من الحرة... كل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر . . لأن هاجر جبل سيناء فى العربية ولكنه، يقابل إورشليم الحاضرة فإنها مستعبده مع بنيها . وأما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعاً فهى حرة ... ماذا يقول الكتاب اطرد الجارية وابنها لأنه لايرث ابن الجارية مع

بن الحرة . إذاً أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرة (غلا ٤ :٢١ — ٣١)

٣ — وأما عن نوعية التدين فهو غالباً ما يكون سطحياً وشكلياً لأن الحياة كلها مصبوغة بالخوف ومتسمة بتأدية الفرائض والواجبات وممارسة الطقوس الشكلية مع إفراغها من كل مضمون روحي وضعت لاجله .

كثيرا ما نجد فى كنائسنا أناس يعيشون على هذا المستوى ، يؤدون كل الممارسات ، ويحضرون كل العبادات بإنتظام ،ويتممون كل الطقسيات وأما قلبهم فبعيد عن الله. مثل هذه العبادة مكروهة عند الرب. ليس العيب فى الطقس والشكل ولكن العيب كل العيب، فيمن تحجر عن الشكل وأفرغ الشكل من المضمون والجوهر والعمق الروحى . أما من جهة نظرة النهود إزاء الناس فهى تسير على مستوى السعى نحو إرضائهم أو إغضابهم لان التدين فى هذه المرحلة يخلو من أهم عمق له وهو « الحق » وهذه العلاقة تتناغم مع السطحية فى التدين . .

وأما نظـــرة الموسوى إزاء نفسه فهى تمتلىء من البر الذاتى والشعور بصلاحية أعماله . . فهو دائماً

يقول عن نفسه « اللهم إنى أشكرك إنى لست مثل باقى الناس الاشرار » وهو كثيراً مايحرص على الإفادة من الدين لتضخيم ذاته وتفخيمها وتسمينها . . وهو لايطيق إطلاقاً أن يدخل سيف الحق إلى الداخل ليجرح هذه الذات المنتفخة ويصلبها ويميت أهواءها وميولها الرديئة إذ أن كثيرا مايكون التدين هنا غلافاً سميكاً وقبراً جميلا يخفى عظاماً نتنة .

٣ ـ الحياة حسب المسيح

تتميز هذه القامة الروحية بالحياة الداخلية . . « ها ملكوت الله داخلكم » . فالله هنا ليس بعيداً عن الانسان وليس مجرد شرائع وطقوس وممارسات ولكن الله هو نور وحياة فى داخل الانسان (أما فيهم وأنت فى ليكونوا مكملين إلى واحد) يو ١٧ : ٢٣ . فالذى نال الولادة الثانية بالمعمودية ؛ والتقديس والتثبيت بسر الميرون ، وتناول جسد الرب ودمه الاقدسين باستحقاق فى جوفه واحشائه كيف لا يحيا الله داخله ؟! إن الرب يسوع نقل الانسان من المستوى الموسوى إلى الحياة حسب النعمة والحق « لأن الناموس بموسى أعطى ، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » يو ١ : ١٧

وماذا يقصد بالنعمة ؟ ! النعمة هى العطايا الغنية التى أخذناها مجانا وصار لنا استحقاقها من خلال التجسد والصليب والفداء والقيامة وصعود المسيح إلى السماء .

+ فالمؤمن بالنعمة يتبرأ من خطية آدم وينال بر المسيح

+ والمؤمن بالنعمة يتقدس أى يحيا المسيح فيه فيقدس كيانه ويصير جسده هيكلا للروح القدس .

+ والمؤمن بالنعمة يصبح ابناً . وبالنعمة يخلص « بالنعمة أنتم مخلصون » ، ومن خلال وسائط النعمة ينال كل هبة سماوية بواسطة الروح القدس العامل فى الكنيسة .

هذه النعمة الغنية هى التى عبر عنها بولس فى رسالته إلى افسس أعظم تعبير بقوله « مبارك الله ابو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح . كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة . إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته. لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب. الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا

حسب غنى نعمته . التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة . إذ عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه. لتدبير ملء الازمنة ليجمع كل شىء فى المسيح ما فى السموات وما على الأرض فى ذاك الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته. لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا فى المسيح » .

(أفسس ١ : ٣ — ١٢)

ومن خلال هـذا النص المقدس يمكننا أن نبين أن غنى النعمة قد بين لنا .

١ — أننا مختارون من عند الرب من قبل تأسيس العالم . .

٢ — أننا مدعوون لنكون قديسين و بلا لوم قدام الآب من خلال الخلاص الموهوب لنا من الابن .

٣ — أنه لنا الفداء غفران الخطايا بدم الصليب .

٤ — أنه عرفنا بأسراره الإلهية ومقاصده الأزلية وأنه لنا نصيب فيه حسب قصد الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته .

٥ ــ أن هدف هذه النعمة التى أعطتنا الحرية والتبنى والفداء والتبرير والتقديس وكل بركات الخلاص .. هدفها النهائى هو جمع كل شىء فى المسيح ليكون المسيح هو الكل فى الكل .

وباختصـــار فإن القديس أثناسيوس يقول : لقد صار الله إنسانا لكى يصير الإنسان بنعمته إلها . . وهذه الشركة فى الالوهة هى التى تكلم عنها إيريناوس والتى عبر عنها الرسول بطرس فى رسالته بقوله « كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما للحياة والتقوى بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة . اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية .

(١ بط ١ : ٣و٤)

وأما الحق فهو الشق الثانى من التدين المسيحى الحقيقى ، فالرب يسوع أعطانا نعمته لكى نشهد له . «وتكونون لى شهوداً فى اورشليم وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض » اع ١ : ٨ .

والكنيسة الحقيقية تسمى الكنيسة الشاهدة لأنها تشهد لعريسها ومخلصها بحياتها وسلوكها ومحبة أعضائها

وطهارتهم وعفتهم وتجردهم وطول آناتهم .. وتشهد ايضا أن يسوع حى فيها وأنه لايزال يعمل فى التاريخ وأن إنجيله إنجيل معاش وعملى وليس مجرد نظريات أو أيديولوجيات أو شرائع وقوانين وعظات . « الكلام الذى أنا اكلمكم به هو روح وحياة » . . لقد أثبتت كنيسة الرسل بحياتها أن كلامه حياة، وأثبتت بروحها ان الابن لايزال يعمل بالروح القدس فيها .. ولقد كانت شهادة المسيحيين الأوائل شهادة جريئة حارة أمينة إذ يقول سفر أعمال الرسل « وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع ونعمة عظيمة كانت على جميعهم » ا ع ٤ : ٣٣ وفى هذه الآية المقدسة تتلاءم النعمة مع الشهادة للحق . لأن الشهادة بدون النعمة مرفوضة إذ تصبح شهادة شياطين أو مزيفين ، والنعمة بدون شهادة تكون كنور وضع تحت مكيال ، ووزنة طمرت فى الرمال .

والذى يميز حياة أولاد الله هو ذلك الروح الواحد والقلب الواحد والإيمان الواحد والمحبة الواحدة إذ يقول الكتاب المقدس وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة ولم

يكن احد يقول إن شيئاً من أمواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً . » (اع ٤ : ٣٢)

وهذه الحياة الخارجية تعبير عن أعماق الحياة الداخلية فالمحبة أثمرت مودة . والإتضاع والقداسة أثمرت شركة .. والمسيحية الحقة أظهرت كنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية .

فالحياة المسيحية — من منظار كنسي — هي حياة أولاد الله مجتمعين معاً بروح واحد متذكرين وصية الرب ووعده بالمجيء الثاني اللآتي المخوف المملوء مجداً متناولين من الجسد والدم الاقدسين مجددين العهد مع المخلص أن يعيشوا وفقاً للانجيل الذى إليه دعاهم .. « فقط عيشوا كما يحق لانجيل المسيح حتى إذا جئت ورأيتكم أو كنت غائباً أسمع أموركم أنكم تثبتون فى روح واحد مجاهدين معاً بنفس واحدة لإيمان الأنجيل » فى ١ : ٢٧ .

أيها الحبيب

+ إن كنت تعيش حسب الجسد متمركزا حول الذات

فأنت لاتزال تحيا ابنا لآدم الاول . هـذه الحياه التى عبر عنها الرسول إن كل من يحيا فيها يكون ابنا للغضب وآنية للهلاك .

+ وإن كنت تعيش حسب الناموس متمماً الفرائض والطقوس لا تمس لا تجس لا تذق . فهذا التهود لا يصلح لشيء سوى أن يبرر ذاتك أمام نفسك ، ولكنه لا يمنحك البر الذى فى المسيح .

+ إما ان كنت قد إختبرت المسيح فى قلبك وذقت النعمة وتمتعت بحرية مجد أولاد الله فتمسك بالذى عندك وجاهـد وثابر على إحتمال الآلام وأثبت مع إخوتك المؤمنين مجاهداً معهم بنفس واحدة لإيمان الإنجيل .

مكتبة
كنيسة القديسين مار مرقس والانبا بطرس
[illegible] بمصر
الرقم العام :
الاسم الخاص :
تاريخ الورود :

يطلب من
المكتبة المرقسية بطوى - ص.ب ١٢
وجميع المكتبات المسيحية